مبذول المقاتل في الحب

أمره سيف الدولة بإجازة هذا البيت:

[الطويل]

خَـرَجْـتُ غَـدَاةَ الـنَّـفْـرِ أعْـتَـرِضُ الـدُّمَـى
فَـلَـمْ أَرَ أَحْـلَـى مِـنْـكَ فِـي الْـعَـيْـنِ وَٱلْـقَـلْـبِ(١)

فقال:

[الطويل]

فَـدَيْـنَـاكَ أَهْـدَى الـنَّـاسِ سَـهْـمـاً إِلَـى قَـلْـبِـي
وَأَقْـتَـلَـهُـمْ لِـلـدَّارِعِـيـنَ بِـلَا حَـرْبِ(٢)
تَـفَـرَّدَ بِـٱلْأَحْـكَـامِ فِـي أَهْـلِـهِ الْـهَـوَى
فَأَنْتَ جَمِيلُ ٱلْخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ(٣)
وَإِنِّـي لَـمَـمْـنُـوعُ الـمَـقَـاتِـلِ فِـي ٱلْـوَغَـى
وَإِنْ كُـنْـتُ مَـبْـذُولَ الـمَـقَـاتِـلِ فِـي الْـحُـبِّ(٤)

= فتسري حيث يريد وتهطل بالمقدار الذي يقدّره لها، فتبدو شادية طربة فرحة، ذلك أنها تستمدّ من الممدوح الكرم، ورغم ذلك فإنها لا تبلغ شأوه لما يتمتع به من رفيع الخلق وعظيم المواهب والقدرات.

(١) غداة النفر: وقت النفر من عرفات إلى المزدلفة بعد عصر اليوم التاسع من ذي الحجة للمبيت هناك وجمع حصيات الجمار. اعترض: استقبل. الدمى، الواحدة دمية: الصورة من العاج شبّهت بها النسوة لجمالهن.

(٢) يعلن الشاعر استعداده على بذل نفسه فداءً لممدوحه الذي لا تخطئ سهامه، وقد اخترق أحدها قلب الشاعر فأسره حبًّا وتعلّقاً، وهو قادر على قتل أعدائه رغم احتراسهم الشديد ورغم الدروع التي يلبسونها لتحميهم؛ فهو بمقدوره قتلهم بلا مبارزتهم والالتحام بهم لسطوته وخوفهم منه.

(٣) و (٤) اختصّ الهوى بأحكام جائرة، فإذا وعد وفى، ولكن الأمر مع الممدوح مختلف، فهو إن هدّد قد يعفو ويغفر، وهنا فالإخلاف رحمة وسعة تدلّ على مقدرة عظيمة وحِلم رفيع، والشاعر مقاتل عنيد لا يستسلم ولا ينهزم، ولكن الأمر مختلف في هذه الحالة فالمحبوب استحوذ على القلب، فما كان من الشاعر إلّا الاستسلام.

وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ
أَصَابَ ٱلْحُدورَ السَّهْلَ فِي الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ(١)

سبقنا إلى الدنيا

وقال يعزيه بعبده يماك وقد توفي في شهر رمضان سنة أربعين وثلاث مئة»:

[الطويل]

[و] لَا يُحْزِنِ اللَّهُ الأَمِيرَ فَإِنَّنِي
سَآخُذُ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبِ(٢)
وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسًى
بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وَقُلُوبِ(٣)
وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الدَّفِينُ حَبِيبَهُ
حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبُ حَبِيبِي(٤)
وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الأَحِبَّةَ قَبْلَنَا
وَأَعْيَا دَوَاءُ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ(٥)
سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا
مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْئَةٍ وَذُهُوبِ(٦)

---

(١) الحدور: المنحدر من الأمكنة. يمدح الشاعر ممدوحه بأنه يقدر على امتلاك القلوب والمشاعر، فقد استقرّت في العيون صورته المحبَّبَة، مما سهّل عليه أصعب الأمور التي يستحيل على غيره تحقيقها.

(٢) يدعو الشاعر ألّا يحزن اللّه الأمير، فالمصاب أليم جلل، وهو على استعداد ليشارك ممدوحه المصاب علّه يخفّ محمله بالمشاركة الوجدانية.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٩. يتابع الشاعر التعبير عن ألم المصاب، فقد نزل بمن يعمل على مسرّة الناس بما يقدّم لهم، وها هو الآن يبكي فإذا بمن شاركهم أفراحهم وسرورهم يبكون لبكائه، وقد أرعب قلوبهم حزناً وألماً.

(٤) و (٥) الدفين: الميت. يُعلن الشاعر عن حبّه العظيم لمن يحبّه ممدوحه؛ فالميت حبيب حبيبه، فهو يحبّه بدوره لمحبّة حبيبه له. والقانون الصارم الذي لا يحيد عنه مخلوق؛ فالموت مصير كلّ مخلوق ولا مفرّ منه، وهنا يبطل كلّ دواء ويبوء كلّ طبيب بالفشل.

(٦) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٩. يقول الشاعر والألم يعصر =